صندوق الاسعاف

ان لم يكن عند الطبيب صندوق مجهز كالمجهز للطبيب الكشاف خصيصاً من محل مانيوز واخوته بلوندرة فيمكنهُ اعداد صندوق معدن ٣٠ × ١٢ سنتي متر ومجهز بغلاية ولبة وعلبة يودوفورم ومكنة شعر او مرسى وار بطة وشاش سيانور ومشمع وقطن وزجاجة اقراص سليماني ومقص وخيط حرير ومسبر قنوي ومسبر مدرج وجفتي شرايين وجفت تشريح واير وقسطرة وانبوبة اسمارك وحقنة تحت الجلد وانابيب كافور واستركنين ومورفين واما السموم فلها صندوق خاص بها

الدكتور محمد زكي شافعي
طبيب مركز الفيوم

اثر الحروب

في الامم القديمة والحديثة

كتب الاستاذ جوردان رئيس جامعة لالند ستانفورد الاميركية مقالتين في مجلة العلم العام الاولى بعنوان « الانتخاب الحربي في اوربا » . والثانية بعنوان « الانتخاب الحربي في العالم القديم » . وقد اراد بالانتخاب الحربي اثر الحرب في الامم . واستعار هذا التعبير من الانتخاب الطبيعي في مذهب النشوء حيث اثبت دارون ان مدار هذا المذهب على انتخاب الطبيعة للاحياء وبقاء الاصلح منها للبقاء . ولكن كاتب المقالتين ابان ان فعل الحرب بالامم المخالفة هو ابقاء الضعيف وافناء القوي الاصلح للبقاء فهو عكس فعل الانتخاب الطبيعي

والاستاذ جوردان هذا هو الذي قيل منذ شهر ان الكونجريس الاميركي اي مجلسي النواب والشيوخ اختارهُ لمذاكرة الرئيس ولسن في توسط الحكومة الاميركية بين الدول المتحاربة سعياً الى الصلح . وقد رأينا ان نلخص مقالتيهِ مقدمين الثانية لتقدم موضوعها على موضوع الاولى قال :

رومية

وصف المؤرخ حالة السلطنة الرومانية في عهد الامبراطور ماركوس اوريليوس بقولهِ «كان الحصاد الانساني رديئاً » . اراد بذلك ان السكان كانوا على نماء والثروة على ازدياد ولكن كان هناك نحط في الاشداء من الرجال . فقد كادت الاسواق والمعسكرات تغص بالرجال وكان اهل العمل واهل البطالة كثاراً ولكن لم يكن في البلاد كفايتها من الجنود الاشداء مع ان الحرب شغلها الشاغل في ذلك العصر

لقد اعترف بعض انصار النشوء الاجتماعي بما للانتخاب الحربي من النتائج الوبيلة ولكن تطبيق المذهب الداروني على التاريخ لم يكد يظهر حتى الآن فيما نكتبهُ عن الحرب والسلم

كانت القبائل الرومانية في اوائل عهدها مؤلفة من اقوام ذوي شجاعة ونشاط يحبون العمل ولا يثقل عليهم شظف العيش . وقد قال فيهم احد المؤرخين « انهم لم يكونوا يحسبون احداً اعلى منهم او ادنى » لذلك طال عهد رومية بالجمهورية لان الرجال الاحرار يحكمون زمام انفسهم . قال كاسيوس « ليس الذنب على طوالعنا في صيرورتنا عبيداً محكومين بل الذنب ذنبنا » . وقد وضعت رومية اساس عظمتها يوم كانت حرة صغيرة لا مجد لها ولا ثروة ولا مستعمرات ولا عبيد

ولكن الحرية والاستقلال تلاشيا منها شيئاً فشيئاً وحل محلهما حب السلطة والاستبداد . فلم يكد القوم يشعرون بقوتهم حتى اخذوا يستخدمونها ضدّ اخوانهم . وهذا التحول افضى الى العدوان والاغتصاب والنهب والنزاع والتحفحة وسائر ما يلابس الحرب فزاح بذلك استقلال الجمهور ضحية مطامع البعض وصار للوطنية معنى جديد بعد انتقالها من العائلة والبيت الى الجيش والمعسكر

قال احد مؤرخي الرومان يصف الانقلاب الذي طرأ على رومية بعد فتوحاتها ان « الهومو » حل محل « الثير » . ومعنى « الهومو » عامّة الناس ومعنى الثير خيار الناس دون شرارهم اي ان خيار الرجال قتلوا في الحروب فبقي في البلاد العامّة فقط لحرث الارض وولادة الاولاد وقام ابناء العبيد والاماء والاتباع مقام اهل الحسب والنسب

هذا ولم يكن سبب سقوط رومية بذخ اهلها ولا تحشهم ولا انتشار الرشوة فيهم ولا قسوة نيرون وكاليغولا ولا اشتغال نسل قسطنطين بالسفاسف والسخائف بل ان ذلك السقوط بدأ يوم تغلّب حب السلطة والسيادة على حب الاستقلال والحرية وزاد استبداد الامبراطرة بزيادة ضعف الشعب حتى كان يصح اتخاذهُ مقياساً تاريخيًّا يقاس به مقدار هبوط الامة وانحطاطها . فلم يستطع يوليوس قيصر ان يستبد بالسلطة ويفوق في القوة الاّ لان عهد سناتوس ويونيوس وبروتوس مضى وانقضى وكانت قوة اوغسطس قيصر قائمة بشخصه . وزادت قوة الامبراطرة المتأخرين بضعف الشعب حتى بات خنصر قسطنطين اغلظ من متني اوغسطس . ولم يكن سبب ذلك قوة قسطنطين بل انقراض الاقوياء من الشعب وبقاء الضعفاء على ضد ناموس الانتخاب الطبيعي حتى بات الامبراطور معبود القوم بعد ما كان عملهُ الاول الوقوف بينهم وبين اهل المطامع . ولا ريب ان اوغسطس رومولس هو آخر امبراطور

روماني عدّهُ شعبهُ اشبه الامبراطرة بالآلهة قبل قضى القوط الغزاة عليهِ وعلى مملكتهِ

ولو ان ابناء الجمهورية الرومانية تخوا عن الفتوحات لبقيت جمهوريتهم حتى يومنا هذا على الراجح . فقد زعم بزور سقوط رومية يوم قُطع خبرة ابنائها عن ولادة الاولاد وترك الضعاف العجزة يتزاوجون ويتوالدون . ولم يكن لسقوطها علاقة بنوع الحكومة او بمقدار الثروة او بشيخوخة الامة . قال الاستاذ سيلي « ان سبب سقوط السلطنة الرومانية انتثارها للرجال » . وقد انتبه يوليوس قيصر الى قلة الرجال مع كثرة سكان المملكة وازدحامها بهم فقال ما لخراب ان السكان ينمون نموًّا مطرداً وروميةَ تغصّ باهلها كستنقع يفيض ماؤهُ على جوانبهِ وبعض اصناف الرجال موفورون ولكن الفلاحين الخشان بقايا عصور رومية الاولى كانوا يضمحلّون سريعاً . ومثل تغير نوع الرجال ظهرت على الدولة الرومانية بوادر الانحلال . وقال الاستاذ بري « كانت نتيجة الحروب الرومانية تناقص صغار الفلاحين وازدياد الارقاء الذين لا ينتظمون في الجيش وبذلك حلّ العامّة محل الخاصّة وقام الضعاف مقام الاقوياء فامتلأت رومية بالطغام وتسنّم الاريكة الرومانية كل من وقع اختيارهم عليهِ فلا بدع والحالة على ما رأيت اذا ظهر قسطنطين اعظم من اوغسطس ولا بدع اذا بات الامبراطور فالنتينيانوس يؤدب رعيتهُ بالعقارب بعد ما كان طيباريوس يؤدبهم بالسياط اي ان طيباريوس على قسوتهِ وشراسة اخلاقهِ كان اوسع خلقاً واخفّ وطأة على رعيتهِ من فالنتينيانوس الذي عدّهُ قومهُ من المحسنين

وكانت الحروب تقام والمواليد على تناقص وتنبه ساسة الرومان الى انحطاط الامة كمًّا وكيفاً فسعوا في سدّ نقص العدد بجلب السكان من خارج المملكة اليها طوعاً او كرهاً . اما النقص في الصفات فاستعصى على العلاج . قال الاستاذ زمّت « لما ظهر رجال الحكومة بمظهر اشباه الآلهة حوّطوا انفسهم بما يناسب هذا المظهر ولبسوا له لبوسهُ وازدانوا بغواشيهِ فكان على هذا الاثر ان الموظفين تضاعفوا والرعية فقدت حقوقها فملأت رهبة الحكام وخشيتهم قلوبها وثمن اهل السلطنة بخسرة الزهو والتكبّر . وصار للامبراطور قوة عائلة في الجيش لا يد للرعية فيها . وكان هذا الجيش اصمّ لصوت العقل لا وطنية لهُ اذ كان بلا وطن ولا مروءة تجول في صدورهِ اذ كان فاقد الروابط العائلية . وكيفما قلّبت التاريخ الروماني تجد الناس صنفين لصًّا وبريئاً[1] وكلاهما يكره العمل ويستكرهُ . ولم تكن الحضارة الرومانية للبنيان بل للتقويض والهدم لانها كانت عسكرية »

(١) كان الرومان يلقبون الدخلاء بينهم بالبرابرة

وكانت عاقبة ذلك كله أن الامة فقدت ابناءها فاضطرت ان تلجأ الى الشاكرية[1] في حرث حقولها فكانت تستأجر قبائل يرمتها لهذا الغرض . فلما قام الاجراء والعبيد والافاقون والطغام مقام الاحرار اهل النظر السديد والساعد الشديد وباتت المملكة بلا حول ولا قوة اجتاحها جموع الغزاة وعاثوا فيها مفسدين وقطنت عصابات البرابرة بلادها واتخذوها وطناً لهم ولكنهم لم يفتحوها وكان ضعف رومية المثقلة باصفاد الحروب فرصة القبائل الجرمانية التي اغارت عليها وملكتها . ولقد صدق برنارد شو حيث قال « ان الامة كالنحلة حينما تلسع تموت » بسط الدكتور اوتوميك الالماني في كتابه « سقوط العالم القديم » اسباب سقوط الدولة الرومانية فاشار في بدء بحثه الى الجمود العقلي الذي شمل السلطنة الرومانية في اوائل التاريخ المسيحي فقال انهُ لم تظهر حينئذٍ فكرة جديدة يعتدّ بها سواء كان ذلك في العلوم او المباحث الفنية والسياسية . وتلاشت قوة الابتكار في الآداب والفنون واكتفى اهلها بتقليد القديم . وكان سبب ذلك كله استئصال شأفة الخاصة والسراة بسبب الحروب

ومثل هذا جرى في اليونان حيث طال عهد الخصام وسفك الدماء بين الاحزاب السياسية الداخلية . وكان الخصام ينتهي بانتصار هذا الحزب وانخذال ذاك وكانت عادة المنصورين ان يقتلوا زعماء الحزب المخذول او ينفوهم من البلاد . وكثيراً ما كانوا يقتلون اولادهم ايضاً فافضى قتل النوابغ عن الجانبين الى انخفاض المستوى العقلي في الامة . قال سيك :

« ان حروباً داخلية مثل هذه تكب الامم بفقر ادبي لا يستقصى . ففي رومية ذبح ماريوس وسنّا اعيان الامة بالمئات والالوف . واسمن سلاّ في الديموقراطيين طعناً وقتلاً . ومن سلم من هذه المذابح سقط ضحية في يد الترايمفرايت[2] . ولما كان اليونان اوسع حيلة من الرومان جاء الرومان الخراب باسرع مما جاء اليونان . ومن كان منهم عصاميًّا فارتقى بجده في المناصب السياسية تألبوا عليه واسقطوهُ سريعاً فلم يبقَ في البلاد الاّ الجبناء وذريتهم . وكان عنوان ذلك الجبن ضعف قوة الابتكار واحتذاء الغير احتذاء تاماً والسير على التقاليد بلا تصرّف ولا تفنن »

ومن شذّ عن هؤلاء المؤرخين مثل فارو وانصاره قال ان رومية ماتت حتف انفها

---

(١) النهال المستأجرون (٢) حكومة من ثلاثة رجال في عهد الرومان . واشهر هذه الحكومات الحكومة التي تألفت من بمبي وكراسوس ويوليوس قيصر في القرن الاخير قبل التاريخ المسيحي والحكومة التي تألفت من اوكتافيانوس (اوغسطس قيصر فيما بعد) ومارك انطونيوس وليبدس في اواسط القرن الاول من التاريخ المسيحي

لانها شاخت . ولكن من الوهم ان يتصور ان الامم تولد وتشب وتشيب طبقاً لناموس ثابت كالناموس الذي يخضع له الافراد . فان الامة مجموع احياء وهي عرضة للتشتت اذا ساءت قيادتها او هاجمها عدو اقوى منها ومتى قلت نسبة اهل العقول والقلوب فيها كان مستقبلها نتيجة القوى التي بقيت فيها . وقد هزأ سيك بقول القائلين ان رومية ماتت حتف انفها وانكر قول من قال ان سقوطها نشأ عن البذخ او اهمال الخطط الحربية او عن المغالاة في الحضارة قال :

« ولا يُعقل ان الرومان ضُرُّوا من زيادة الحضارة ولا ان بذخ اغنيائهم كان سبب سقوطهم . فان اغنياء القرنين الخامس عشر والسادس عشر لم يكونوا اقل بذخاً منهم ومع ذلك لم يُحل بذخهم دون تقدم الامم التي ينتمون اليها . وزد على ذلك ان اهل البذخ في رومية كانوا اكثر تفرقاً من اهل البذخ في كل بلد اوربي حديث وان جمهور الرومان كان في كل زمان كثير التقشف والزهد في معيشته بطبيعة الحال . وهل يتصور ان امة حربية مؤلفة من ملايين عديدة تمسي مختشة ببذخ بضع مئات منها . فقد مضى زمان طويل والمؤرخون يتحدثون عما للاغنياء والامراء في العالم من اليد الطولى في تغيير وجهه وتعيين مستقبله . على ان نصف المملكة الرومانية كان مؤلفاً من البرابرة الخشان الذين لم تصقلهم الحضارة اليونانية ولا ثقفتهم المدنية الرومانية

« ومهما يكن السبب البعيد في سقوط الدولة الرومانية فان السبب المباشر لسقوطها هو اختلال قواها الجسمية لا الادبية . فقد بقيت الجيوش الرومانية حيث كانت على الدوام من قبيل البسالة وحسن النظام وادارة الحرب على مقتضى العلم . وكان امبراطرة البريكلوم الفلاحون - يرخلف لاسلافهم من امثال سفسناتوس ومار يوس . ولكن بقيت مسئلة سد النقص في الجيوش . فان الرجال قلّوا فتقوضت اركان الامبراطورية الرومانية من قلة الرجال »

وبينا انا اكتب هذه السطور نُشر كتاب من قلم الدكتور الفرد شولتس في نيويورك ذهب فيه الى ان سبب سقوط رومية النغولة اي فساد دم الرومان بامتزاجه بدماء القبائل الخاضعة لها . وعندي ان النغولة كانت نتيجة انحطاط رومية لا سبباً له . فان رجال القبائل التي اخضعتها رومية أخذوا لسدّ الفراغ الحادث من هلاك رجال الرومان في الحروب . والاستمرار على قتل الاصح فتح مجالاً واسعاً للامم غير الرومانية التي باعت سرير الملك مرة بالمزاد العلني . ولما قتل الرومان في الحروب الداخلية والخارجية اندفع الدم الغريب والدخيل من كل فج وصوب ليملأ مكان الاصيل

قال جبن « وكان الرومان يزدادون قصر قامة كل يوم فحطت السلطنة الرومانية بالافرام حتى اجتاحها جبابرة الشمال فاصلحوا ما افسده الزمان فيها واعادوا اليها الرجولة والاستقلال . وبعد ثورات دامت عشرة قرون اصبحت الحرية ام العلم والذوق السليم » . وكانت الامة الايطالية الحاضرة

اليونان

كان اليونان فيما سلف من الدهر قادة العلم في الفنون والشعر والفلسفة . وكان ابهى بناء بناه الناس قصر السلام او البارثنون الذي اقامه بركليس تذكاراً لانتهاء الحروب اليونانية . وبقي قائماً ما ينيف على الفي سنة الى ان هدم في اواخر القرن السابع عشر للمسيح

لكن مجد اليونان كان قد انقضى قبل تهدم البارثنون وكان سبب انقضائه فناء الرجال الاقوياء بالحرب . فقد كانت المدنية اليونانية في اوجها مبنية على الرق اذ كان في اليونان رجل حر واحد لكل عشرة ارقاء . فلما ذهب الاحرار حل العبيد محلهم قادمين من الشمال ما بين بلغاري والباني وفلاخي وامثالهم . ولا تزال اللغة اليونانية القديمة حية اما اليونان القدماء يونان الآداب والفنون والفلسفة فلن يعرف مكانهم . قال المستر ارلند « ان معظم الامة اليونانية القديمة زال ويقطن البلاد الآن قوم من السلالة الصقلبية . وهناك ما يحمل على الاعتقاد بان في جيش ادم باشا العثماني من دم ابطال اليونان القدماء اكثر مما في جنود الملك جورج »

وقد عزا شولتس سقوط اليونان الى مثل السبب الذي افضى الى سقوط رومية وهو تزاوج اليونان والقبائل البربرية التي تدفقت عليها من كل جهة . وكان هؤلاء الدخلاء يزدادون كلما نقص اليونان الاحرار بالحروب . ثم حرر العبيد ليحلوا محل اليونان الاحرار الذين قتلوا في ميادين الحرب وحينما هلك هؤلاء حل الدخلاء محلهم . ومن المحقق ان سكان بلاد اليونان الحاليين ليسوا امة واحدة والفرق بين الذين يسمون يونانا وبين سائر البلقانيين ان سكان بلاد اليونان يتكلمون لغة مشتقة من اليونانية القديمة

ولكن عند مقابلة اليونان معاصرينا باليونان القدماء نقول إنصافاً لهم انهم متصفون بكثير من الخلال الطيبة . ومن تلك الخلال الصراحة والرجاء والغيرة الوطنية . واليوناني الجبلي يعرف قيمة الحرية وقد طالما قاتل في سبيلها . ويقال ان اهل ثساليا اقل استقلالاً وحباً للحرية من سكان الجبال . ولا غرو فان ذلك شأن سكان البطاح والسهول اينما كانوا